غزوات الرسول ﷺ

للأطفال

عبد اللطيف عاشور

دار الطلائع

عاشور، عبد اللطيف
غزوات الرسول للأطفال: عبد اللطيف عاشور - القاهرة: دار الطلائع، ٢٠١٨
ص ٤٨ ، سم ٢٤
تدمك ٧ ٨٣١ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - قصص الأطفال ٢ - القصص العربية
٣ - غزوات النبى ٤ - السيرة النبوية
أ- العنوان ٨١٣,٠٢
رقم الإيداع: ٢٠١٨/١٥٨٦
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 277 - 831 - 7

تصميم الغلاف الفنان: إبراهيم محمد إبراهيم

● جميع الحقوق محفوظة للناشر ●

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

32 شارع أحمد فخرى
مدينة نصر - القاهرة
تليفون: 23546392 (+202)
فاكس: 23546393 (+202)
E-mail : info@altalae.com
Web site: www.altalae.com

تمهيد

لبثَ الرسولُ ﷺ في مكه ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس فيها إلى ما أرسله الله به من الهدى والحق، وإلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وإلى الإيمان بالبعث، وأن هناك يومًا آتيًا يلقى فيه كل إنسان جزاء ما صنعه في هذه الدنيا من خير أو شر.

ولكنْ.. عزَّ على قريش أن تترك ما وجدت عليه آباءها من الشرك والضلال وعبادة الأوثان، ورفضت أن تؤمن بالله ورسوله محمد الذي أرسله الله سبحانه وتعالى لهداية الخلق جميعًا، ولم تكتف بهذا بل أخذت تسخر من دعوته، وتؤذيه هو وأصحابه المستضعفين الذين آمنوا به وبدعوته.

وظل النبيُّ ﷺ هو وأصحابه على مثل هذه الحال من الأذى والتعذيب دون أن يؤذن له بالقتال.

وكانت تتنزَّل الآيات عليه وتأمُره ومن تبعه بالصبر..

ولما اشتدَّ طغيان قريش على الرسول وأصحابه بدأ الصحابة يهاجرون هربًا بدينهم إلى المدينة، ثم أذن الله تعالى لنبيه باللحاق بأصحابه.

وفى المدينة أذن الله تعالى لنبيه والمسلمين بالجهاد والقتال دفاعًا عن دينهم ومبادئهم.

عبد اللطيف عاشور

غزوة بدر الكبرى

كانت غزوة بدر هي التجربة الأولى للنبي ﷺ، وأول معركة كبيرة فى الإسلام، وكانت في السنة الثانية من الهجرة.

علم الرسول ﷺ أن قريشًا جهزت قافلة تجارية كبيرة إلى الشام تقدر قيمتها بخمسين ألف دينار، واستشار أصحابه بأن يخرج ليعترض هذه القافلة، ويأخذها غنيمة عوضًا عما تركه هو وأصحابه من أموال ومتاع في مكة.

ووافق الصحابة على رأى رسول الله ﷺ وخرج الرسول ومعه ثلاثمائة وأربعة عشر مجاهدًا من الصحابة، وسبعون بعيرًا وفرسان.

وعلم رسول الله ﷺ أن القافلة اتجهت إلى الشام، فعاد إلى المدينة ليعترض القافلة مرة أخرى.

وكان أبو سفيان بن حرب يرأس قافلة قريش، وهو رجل ذكيٌّ دائم الحذر واليقظة، ويعلم أن محمدًا يتعقبهُ، ويحاول أن يعترضه.

ورجع أبو سفيان بالقافلة وكله خوف وحذر؛ فهو لا يملك من الرجال إلا أربعين رجلا لحراسة القافلة.

وخوف أبى سفيان جعله يسأل كل من لقى من الركبان عن أخبار محمد إلى أن وجد رجلًا من قبيلة جُذام[1] أخبره أن محمدًا سيعترض

(1) قبيلة جُذَام: إحدى قبائل العرب القحطانية اليمانية الأصل، وكانت منازل هذه القبيلة في شمال الجزيرة العربية، وأبرزها: مدين وحسمي وتبوك وحقل (العقبة) اليوم.

قافلته فازداد خوف أبى سفيان، وأرسل رجلًا إلى مكة يخبرهم أن محمدًا اعترض قافلتهم.

ووصل الرجل مكة، وأخذ ينادى على قريش قائلًا: يا معشر قريش ! ! أموالكم وتجارتكم قد تعرَّض لها محمد وأصحابه.. أنقذوها.. أنقذوها.

وثارت قريش على أموالها وتجارتها، وخرجوا لإنقاذها ومعهم تسعمائة رجل مدعمين بالسلاح، ومائة فرس، وسبعُمائة بعير.

وعلم أبو سفيان أن قريشًا خرجت لتنقذ القافلة وكان هو قد تجاوز مرحلة الخطر فأرسل إليهم يقول: إن الآلهة قد أنجَتْ عِيركم فارجعوا، فإنه لا حاجة لكم الآن.. فقال أبو جهل: لا والله، لا نرجع حتى نصل بدرًا، ونقيم بها ثلاث ليال نأكل الطعام، ونشرب الخمر، ونضرب الدفوف، ونرقص مع النساء.

ولم يكن الرسول ﷺ يعلم شيئًا عن أمر القافلة وأبى جهل، وكل الذى يعرفه أن قريشا استعدت لتنقذ القافلة.

وإزاء هذا التغير المفاجئ الذى لم يكن في الحسبان، بدأ الرسول ﷺ يستشير أصحابه مرة أخرى في حرب قريش.

قال فريق منهم: يا رسول الله: إننا لم نخرج للقتال، وقال آخرون: يا رسول الله، ليس معنا سلاح، وقام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امْضِ لما أراك الله، فنحن معك، فوالله لو سرْتَ معنا إلى بَرْك الغماد (مكان بأقصى اليمن) لسِرْنا معك.

فاستبشر الرسول ﷺ بكلام المقداد ودعا له بالخير.

وكان كل المتكلمين من المهاجرين.. أما الأنصار فلم يتكلم منهم أحد.. فقال الرسول ﷺ: «أشيروا عليَّ أيها الناس» يقصد بذلك الأنصار ليعرف رأيهم؛ فهم أكثر أصحابه الذين خرجوا معه.

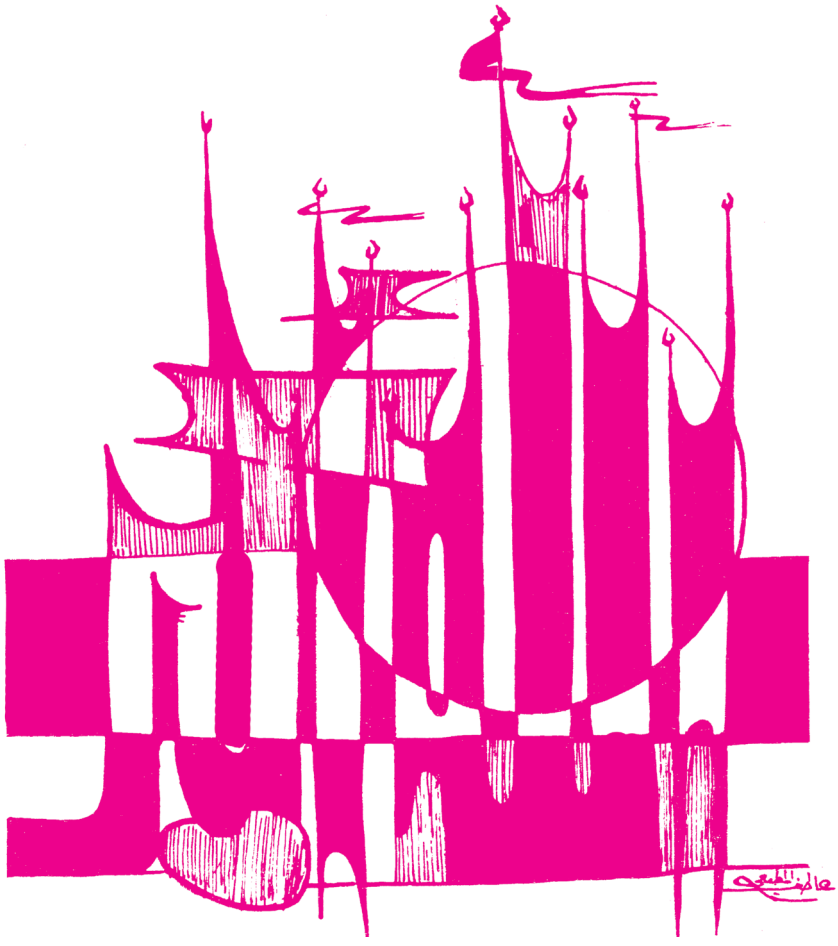

فقال سعد بن معاذ -رضى الله عنه: كأنك يا رسول الله تقصدنا؟ قال: نعم.. فقال سعد: يا رسولَ الله، لقد آمنَّا بك وصدَّقْناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا،على

السمع والطاعة، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم، وإنى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فامْضِ يا رسول الله لما أُمرت، فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخُضْتَه لخُضْنَاه معك ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنَّا لَصُبرٌ في الحرب صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقرُّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله.

وسُرَّ الرسول -ﷺ، بما قاله سعد واستبشر بكلامه وقال: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين: العير أو النفير (النصر أو الاستيلاء على تجارة قريش)».

وأرسل الرسول ﷺ علىَّ بن أبى طالب مع بعض المسلمين إلى بدر ليعرفوا أخبار القافلة، فوجدوا هناك غلامين يستقيان فأمسكوا بهما ورجعوا إلى رسول الله ﷺ، فسألهما الرسول عن أخبار قريش فقالا له: هم وراء هذه الهضبة، وأخذ الرسول يسألهم ويتحدث إليهم حتى عرف منهم عدد القوم وقال لأصحابه: هم بين التِّسعِمائة والألف.

والمسلمون ثلاثُمائة و أربعة عشَر، ولا سلاح معهم يكفيهم، وهم أيضًا بعيدون عن الماء، ولكن الله أزال عنهم هذا الخوف، وأرسل السحاب بمطر غزير، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، فشربوا، وأخذوا ما يكفيهم.

بعد ذلك أشار سعد بن معاذ على رسول الله ﷺ بأن يقيم له عريشا من جريد ليدير منه المعركة، وقبل الرسول ذلك، وأُقيم العريش على تلٍّ مرتفع يشرف على المعركة.

وبدأ الرسول عليه السلام ينظم الصفوف ويعد أصحابه، وأوصاهم بلزوم أماكنهم، وحثهم على الصبر.

وأعلن الرسول بدْء المعركة بقوله «والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مُدبر إلا أدخله الله الجنة».

وكانت هذه الكلمات الصادقة المؤمنة حافزًا قويًّا للمسلمين، فالفرصة أمامهم للفوز بالجنة، وسمع عُمَيْر بن الحمام هذه البشرى، وكان يـأكل بعض التمرات فألقاها من يده، وانطلق مسرعًا للقتال يطلب الاستشهاد فى سبيل الله وأنشد يقول:

ركضًـا إلى الله بغـير زاد إلا التُّقى وعمل المـعاد
والصبر في الله على الجهاد وكـلُّ زاد عُـرضـة النفاد
غير التُّقى والـبـرِّ والـرَّشـاد

واخترق صفوف الكفار يقاتلهم، ويقتل منهم، وثبت في هذه المعركة حتى حقق الله له رغبته في الاستشهاد في سبيله ليفوز بالجنة.

وهذا بلال بن رباح يقف في أرض المعركة وجهًا لوجه أمام عدو الإسلام الأكبر ورأس الكفر والفتنة أُمَيَّه بن خلف الذي كان بلال عبدًا له في يوم من الأيام، وكان هذا الكافر يخرج به في وقت

الظهيرة، ويضع على ظهره الصخرة الكبيرة ويقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعُزَّى (آلهة الكفار).

ويرفض بلال المؤمن الصابر أن يكفر بالله مفضلًا العذاب وسخونة الرِّمال الشديدة الحرارة تحت ظهره، ويقول وهو يتألم من العذاب (أَحَدٌ..أَحَد).

وها هو ذا الآن يلتقى بسيده القديم بعد أن دار الزمان دورته، ويقول له: (اليوم هو القصاص).

ويحاول أُمية الهرب، ولكن بلالا يحاصره وينقض عليه بسيفه فيقتله، ويخلص الإسلام من شره، ويشفى ألمه القديم.

وبدأت المعركة تشتد، وملأ الغبار المكان، ورأى الرسول ﷺ كثرة المشركين وقلة المسلمين فرفع يده إلى السماء يدعو ربه بقوله: «اللهم إنك أنزلت علىَّ الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتنى إحدى الطائفتين، وأنت لا تخلف الميعاد، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحَادُّك (تتحداك) وتكذب رسولك فنصرك الذى وعدتني».

ويستجيب الله دعاء رسوله فيرسل ملائكته من السماء لتنزل أرض المعركة فتثبت قلوب المؤمنين، وتُقوى روحهم المعنوية، ويفرح المسلمون بمدد السماء فتطمئن قلوبهم، ويزداد إيمانهم؛ لأن الله معهم يساندهم بملائكته.

وألقى الله الرعب في قلوب الكفار، وبدأ المسلمون يقاتلونهم ويضربون أعناقهم في بَسالةٍ وبُطولة.

وفي أرض المعركة يلتقى عبد الله بن مسعود وهو الرجل النحيل الضعيف، والقويُّ الإيمان يلتقى مع أبى جهل قائد الشر والفتنة فى مكة، ويضرب رجله، ويضع قدمه على عنقه ويقول له: هل أخْزاك الله الآن ياعدوَّ الله؟

فقال أبو جهل: هل أنا إلا رجل قتله قومه؟ قل لى: لِـمَنِ الدائرة اليوم؟..

فقال عبد الله بن مسعود: لله ورسوله.. ثم ضربه بسيفه فقتله.

وأخذ المسلمون يقتلون ويأسرون من الكفار بعد أن سمعوا رسول الله يقول لهم: «مَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فهو له»..

وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للكفار، وانتصرت الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الباغية، وبهذا انتصر الحق على الباطل.

وقد قُتل من الكفار فى هذه المعركة سبعون وأُسِرَ منهم سبعون، واستُشْهِدَ من المسلمين أربعة عشر شهيدًا.

وظل المسلمون في بدر ثلاثة أيام رجعوا بعدها إلى المدينة مستبشرين بنصر الله.

غزوة أُحُد

لم يهدأْ لقريش بالٌ بعد هزيمتهم الساحقة فى بدر، فأخذت تستعد بالقوة والسلاح والرجال للثأر من المسلمين ليستردوا كرامتهم وهيبتهم.

وما هو إلا عام واحد حتى جمعت قريش آلاف الرجال من مختلف القبائل استعدادًا لحرب محمد وأصحابه بعد ما وضعوا كل ما ربحوه من قافلة أبى سفيان تحت تصرف المعركة.

وزحف ما يقرب من ثلاثة آلاف مقاتل من المشركين معهم كل مستلزمات الحرب من عدة وسلاح على المدينة الآمنة.

وعلمَ العباسُ بن عبد المطلب عم النبى ﷺ ما دبرته قريش لابن أخيه، وكان وقتها لا يزال مشركًا، ولكن صلة القرابة، وحبه للنبى ﷺ جعلته يرسل إليه من يخبره بهذا الغزو المفاجئ.

وتشاور الرسول مع أصحابه وقال: «إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا.. أقاموا بشَرِّ مُقامٍ، وإن هم دخلوا علينا قتلناهم فيها»..

فاقترح البعض الاحتماء بالمدينة، واقترح البعض الآخر ضرورة الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة حتى لا يقولوا عن المسلمين إنهم جبناء وضعفاء.

وكان الرأي الأخير هو الغالب، وهو أيضا رأي الشباب، وأعلن الرسول ﷺ محاربة المشركين خارج المدينة.

وخطب الرسول ﷺ خطبة حَثَّ فيها الجنود على الصبر، وقال لهم: «لكم النصر ما صبرتم».

وأعطى لواء الأوس لأُسَيْد بن حُضَيْر، ولواء الخزرج للحُبَاب ابن المُنْذِر، ولواء المهاجرين لمصعب بن عمير..

وتحرَّك جيش المسلمين بقيادة الرسول ﷺ إلى جبل أُحد، وكان عدد المسلمين يقارب الألف، ولما وصلوا إلى أُحد أصبحوا سبعمائة بعد أن رجع فى الطريق زعيم المنافقين عبد الله بن أُبَىّ بثلاثمائة من أصحابه ولم يتردد الرسول وأصحابه فى خوض المعركة بعد موقف عبد الله، بل واصلوا المسير إلى أحد.

ونظم الرسول ﷺ الجيش، وأوصاهم بأن يجعلوا ظهورهم للجبل، ووجوههم للمدينة، وأمر بوضع خمسين رجلًا من الرُّماة على الجبل خلف جيش المسلمين ليحموا ظهورهم وقال لهم: «احموا لنا ظهورنا فإننا نخاف أن يجيئونا من ورائنا، والزموا مكانكم ولا تبرحوه، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وإن رأيتمونا نُقْبِل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنَّبل، فإن الخيل لا تقوم على النَّبل».

والتقى الجيشان، وبدأت المعركة، وهبَّ المسلمون صوب جيش الكفار وبين صفوفهم مندفعين بإيمانهم القوىِّ يقبلون على الموت فى سبيل الله لينالوا الخير والسعادة.. النصر أو الشهادة..

واشتد القتال وكان النصر فى بادئ الأمر بجانب المسلمين وكانت نساء قريش يضربن الطبول والدفوف ويقلن:

إنْ تُـقْـبِـلـوا نُـعَـانِـق ونَـفْـرِش الـنَّـمَـارق[1]
أو تُـدْبِـرُو نُـفَـارق فِـراقَ غـيـرِ وَامِـق[2]

أما الرسول فكان يقول:

«اللهم بك أجُولُ، وبك أصول، وفيك أقاتل، حسبي الله ونعم الوكيل».

وكان أبو دُجَانةَ يقول:

أنـا الـذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقـومَ الدهر فى الكُبُول أضربُ بسيفِ الله والرسول

يقصد بذلك أنه لن يكون أبدًا إلا فى المقدمة ما دام يضرب بسيف الله والرسول.

ويمشى أبو دجانة فى أرض المعركة مشية الخُيَلاء[3] مرتديًا عصابته الحمراء وكان يسميها (عصابة الموت) يمسك بسيف الله والرسول معتزا به، ويخترق صفوف الكفار، فيبث فى قلوبهم الرعب، ويشتت صفوفهم حتى قَتل منهم الكثير.

ولم تبق إلا لحظات قليلة يتم النصر فيها للمسلمين الذين بدأ بعضهم يجمع الغنائم، ورأى الرجال الذين كلفهم الرسول ﷺ لحماية ظهر المسلمين تباشير النصر، فأخذوا يتركون أماكنهم ليجمعوا الغنائم، ونسوا أمر الرسول ﷺ لهم.

(1) النمارق: جمع نُمرقة وهى الوسائد الصغيرة.

(2) الوامق: المُحِب.

(3) مِشْيَة الخُيَلاء: أي مِشْية المتكبر المعجب بنفسه.

وانتهز هذه الفرصة خالد بن الوليد، وكان لا يزال مشركًا، وفاجأ المسلمين من ورائهم هو وجنوده فاهتزت صفوف المسلمين، واستولى عليهم الفزَعُ بعد أن أطبق عليهم المشركون من كل جانب، فسادت الفوضى والبلبلة فى صفوف المسلمين خصوصًا بعد أن شاع بين المسلمين أن رسول الله ﷺ قد قُتل.

وعرف المسلمون بعد لحظات أن الرسول ﷺ ما يزال حيًّا يجهد الكفار، وانطلق بعض المسلمين لإنقاذ رسول الله، ورأى أبو دجانة أن الرسول ﷺ قد أصبح هدفًا لنبال المشركين فانحنى على جسمه الطاهر ليحميه بعد أن جُرح الرسول جُرحًا صغيرًا فى جبهته وشفته.

وأعطى الرسول - عليه السلام- أوامره بالانسحاب والصعود إلى الجبل بعد أن قُتل من المسلمين سبعون شهيدًا على رأسهم حمزة ابن عبد المطلب عم الرسول ﷺ الذى قتله وحشيٌّ غلام هندٍ امرأة أبى سفيان، التى شقت بطنه وأخرجت كبده ومضغته بأسنانها ثم لفظته.

وهكذا خسر المسلمون فى هذه المعركة خسائر فادحة نتيجة خطأ الرُّماة الذين تركوا أماكنهم ولم يمتثلوا لأمر الرسول الذى أمرهم بأن يلزموا أماكنهم ولا يبرحوها مهما كانت الأسباب.

غزوة بَنِى النَّضِير

كان بين يهود بنى النضير ورسول الله ﷺ عهد بألا ينصروا عليه عدوا، وأن لا يعتدوا على أحد من المسلمين.

وبنو النضير قوم من اليهود كانوا يسكنون المدينة فى منطقة تسمى العوالى (على بعد ميلين من المدينة) وتمتاز هذه المنطقة بنخيلها الكثير.

وسبب هذه الغزوة أن عَمْرو بن أُميَّة قتل رجلين من بنى عامر خطأ، وجاء إلى رسول الله ﷺ، وطلب أن يعاونه فى أداء الفدية لبنى عامر حلفاء بنى النضير.

فتوجه الرسول -عليه السلام- إلى بنى النضير، ومعه عشرة من الصحابة على رأسهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، واجتمع مع زعيمهم حُيَيِّ بن أَخْطَب، وأخبره أنه وفد إليهم ليستعين بهم فى دفع الدية للقتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية.

ورحَّب حُيَيٌّ بذلك، وأظهر المودة والمحبة للرسول عليه السلام، وقال له: لابد أن أتشاور مع قومى، وتركهم ودخل يتشاور مع القوم، وما كانت مشاورتهم إلا غدرًا وخيانة.

فقد قال بعضهم لبعض: إننا لن نجد فرصة أحسن من هذه، فمحمد الآن ليس معه إلا عشرة من أصحابه ، فنقتله ونتخلص منه إلى الأبد، ثم نأخذ أصحابه أسرى ونسلمهم إلى قريش لتثأر منهم.

واقترح أحدهم أن يلقوا على الرسول ﷺ صخرة كبيرة من فوق سطح المنزل الذى يجلس فيه الآن هو وأصحابه.

وأوحى الله عز وجل إلى نبيه ﷺ بما تُدبِّره يهود بنى النضير له، فقام من مجلسه فى الحال بعد أن استأذن أصحابه ليفسد مؤامرة هؤلاء الخائنين، متعلِّلا بقضاء حاجة له.

وظل الصحابةُ ينتظرون عودةَ الرسول ﷺ ولكنَّه لم يعدْ، وقلق اليهود لغياب النبى ﷺ، فقد شعروا أن مؤامرتهم التى دبروها قد افتضحت، وأن محمدا ﷺ عرفها.

وعاد الصحابة إلى المدينة واتجهوا إلى منزل رسول الله ﷺ خوفًا من أن يكون قد حدث له مكروه.

وأخبرهم رسول الله ﷺ أن الله أوحى إليه أن بنى النضير تآمروا على قتله فقام من مجلسه فجأة، ولم يشأ أن يزعجهم بذلك فقد كانوا قِلَّة واليهود كانوا كثرة.

واستقر عزم الرسول ﷺ على تأديب بنى النضير جزاء نقضهم العهد الذى قطعوه على أنفسهم وكانت الخطوة الأولى هى إنذارهم بمغادرة المدينة خلال عشرة أيام، وإن وجد أحدا منهم بعد هذه

المدة كان جزاؤه القتل، ولكن اليهود رفضوا إنذار الرسول فكبَّر الرسول، وكبَّر المسلمون معه، ثم قال: «لقدْ حَارَبَتْ يَهودُ»..

وأمر الرسول ﷺ أصحابه بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة.

وتحصَّن اليهود داخل حصونهم وأغلقوا على أنفسهم الأبواب.

ولكن المسلمين أحاطوا بحصون بنى النضير من كل جهة.. واستمر الحصار ستَّ ليالٍ، ثم أصدر الرسول أوامره للمسلمين بقطع نخيلهم وتحريقه، واستجاب الصحابة لهذا الأمر النبوى.

ونجحت هذه الخطة الرائعة ولم يجد اليهود مفرًّا من الاستسلام على أن تُحفظ عليهم أموالهم ودماؤهم، ولهم ما حملت الإبلُ من الأموال إلا السلاح.

ووافق الرسول على ذلك وقال لهم: «لكم دماؤكم وما حملت الإبلُ».

وتفرَّق اليهود بعد هذه الغزوة فبعضهم ذهب إلى خيبر، والبعض الآخر إلى الشام، وكانت هذه بداية النهاية لتطهير أرض الجزيرة العربية من الشراذم اليهودية الغادرة.

غزوة الأحزاب «الخندق»

عزَّ على المسلمين موقفهم في غزوة (أحد) والنتائج الخطيرة التي ظهرت بسبب مخالفة الرُّماة لأوامر رسول الله ﷺ في هذا اليوم، وأن انتصار المشركين فى هذه الغزوة كان سببًا فى تماديهم في كفرهم وضلالهم، وتجمعهم على خوض حروب أخرى، ضد الرسول وأصحابه.

وبالفعل بدأت قريش تراسل القبائل اليهودية التي كانت تكره محمدًا ودينه الجديد وتدعوهم إلى الانضمام إليها لحرب محمد وأصحابه تحت لوائهم.

وتجمعت الألوف من القبائل بخيلهم وسلاحهم، يرأسهم عدو الإسلام أبو سفيان، وكان عددهم عشرة آلاف مقاتل، معهم ألف فرس، وألف وخمسمائة بعير.

وبدأ هذا الجيش الكبير يزحف إلى المدينة، وكان هذا في السنة الخامسة من الهجرة.

ووصلت أنباء هذا الجيش إلى الرسول ﷺ.

وجلس الرسول يستشير أصحابه ويعرف آراءهم، واقترح سلمان الفارسيُّ - رضي الله عنه -على رسول الله أن يحفروا خندقا حول المدينة من الجهة التي يخافون أن يدخل الكفار منها.

وكانت فكرة سلمان -رضي الله عنه- فكرة رائعة وجديدة لم يسبق لها مثيل للعرب أن قامو بها من قبل.

واقتنع الرسول ﷺ بهذه الفكرة الصائبة، وأمر أصحابه في الحال بحفر الخندق.

وبدأ المسلمون يحفرون الخندق، ومعهم رسول الله ﷺ يعمل بيده ويُشَجِّعهُم.. مجموعة تحفر.. ومجموعة تحمل التراب.. ومجموعة ترص الحجارة، ويقول الرسول وهو يحمل التراب:

هذا الحِمَالُ لا حِمالُ خَيْبر هـذا أبَـرُّ ربّـنـا وأطْـهَـر[1]

وأخذ المسلمون يتنافسون فيمن يحفر أكثر، ويفوز سلمان الفارسي في هذه المسابقه، فقد كان قويًّا يعمل كعشرة رجال، ولما فاز سلمان تنافس المسلمون عليه، فقال المهاجرون: سلمان مِنَّا !!

وقال الأنصار: هو منا ونحن أحق به !!

وبلغ النبي -عليه السلام- قولهم هذا فقال:

«سلمان رجل من أهل البيت».

وأخذ الصحابه يرددون مع الرسول:

اللهمَّ لَـوْلَا أنتَ ما اهْتَدَيْنَا ولا تَصدَّقْنَا ولا صَلَّيْنَا
فَـأنْـزِلَـن سَكِينةً عَلَيْنَا وثَـبِّـتِ الأَقْـدامَ إنْ لَاقَيْنَا
والمُشْرِكُونَ قدَ بَغَوْا عَلَيْنَا وإنْ أَرَادُوا فِتْنةً أَبَـيْـنَا

ويقول الرسول مشجعًا لهم:

اللهُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَه فارْحَمِ الأَنْصَارَ والمُهَاجِرَه

ويردُّ عليه أصحابه قائلين:

نحنُ الَّذِين بَايَعُوا مُحَمَّدا علَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَـدا

(1) أفضل لرضاه. وأطهر لنا.

وظل المسلمون يعملون طوال النهار حتى حُفر الخندق بعد ستة أيام فقط.

وتوالت الأيام ووصل جيش الكفار المدينة، وما إن رأوا الخندق حتى وقفوا أمامه مبهورين، فكان مفاجأة لهم هذا السلاح الجديد، وأيقنوا أنهم لن يستطيعوا اقتحامه.

وبدأوا ينصبون خيامهم، ويربطون خيلهم.

وكان جيش المسلمين قد عسكر خلف الخندق وعددهم ثلاثة آلاف مقاتل والكفار عشرة آلاف، والمسلمون منتشرون حول الخندق لحراسته، ولكن أحد جنود الكفار وهو: عَمرو بن عبد وُدّ استطاع أن يقتحم الخندق بفرسه وذلك من منطقة ضيقة جدًّا ونادى عمرو بصوت جهير:

من يبارز؟

فقام إليه علىٌّ بنُ أبي طالب.

فقال له عمرو: من أنت؟

فقال له: أنا علىّ !!

قال له عمرو: ابن عبد مناف؟

فقال علىٌّ: أنا علي بن أبي طالب !!

فقال عمرو: يا ابن أخي.. مِنْ أبناء أعْمامِك مَنْ هو أسَنُّ مِنْكَ فإنِّي أكرهُ أنْ أريقَ دَمَك (أقتلك).

فقال له عليٌّ: لكني والله لا أكرهُ أنْ أريقَ دمك.

فغضب عمرو بن عبد وُد، ونزل عن فرسه، وأخرج سيفه، وأخذ يبارز عليَّ بن أبي طالب فاندفع عليٌّ نحوه في شجاعة وقوة وإيمان فضربه ضربة قوية بسيفه سقط بعدها على الأرض قتيلًا.

وصاح المسلمون: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..

وفي اللحظات الحاسمة من هذه المعركة ظهر جماعة من المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر وشرعوا يهولون من جيش الكفار ويرددون:

إن محمدًا وعدنا بكنوز كسرى وقيصر، والواحد منا الآن لا يستطيع أن يأمن على نفسه، ولا أن يحمي بيته، فانسحب هؤلاء المنافقون من صفوف المسلمين.

وفي الوقت نفسه كان يهود من بني قريظة يجاورون المسلمين في المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فتآمروا على الرسول في هذه اللحظه، ونقضوا العهد الذي بينه وبينهم وحرضهم على ذلك كفار مكة ومنَّوْهم الأماني.

ولما علم المسلمون بانسحاب المنافقين من بين صفوفهم، ونقض بني قريظة لعهودهم زُلزلوا زلزالًا شديدًا وابتُلوا بلاءً مُرًّا.

ويشاء الله في هذا الوقت العصيب، وفي تلك المحنة الشديدة التي تمر بالمسلمين أن يظهر نُعَيْمُ بنُ مسعود -رضي الله- عنه الذي دخل في الإسلام دون أن يعلم اليهود بإسلامه، فهو صديق لقريش،

وصديق لبني قريظة، ويقول للرسول: يا رسول الله إني قد أسلمت، وقَوْمِي لا يعلمون بإسلامي فمُرْني (فأمرني) بأمرك حتى أساعدك، فقال الرسول -عليه السلام:

«أنت رجل واحد، وماذا عسى أن تفعل، ولكِنْ خَذِّلْ عنا ما استطعتَ، فإن الحرب خُدعة».

وترك نعيم بن مسعود -رضي الله عنه- رسول الله ﷺ، وذهب إلى بني قريظة وقال لهم:

يا بني قريظة! أنتم تعرفون ودِّي لكم وخوفي عليكم، وإني محدثكم حديثًا فاكتموه عني.

فقالوا: نفعل.

فقال: قد رأيتم ما وقع لبني قينقاع وبني النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم، وأن قريشًا وغطفان ليسوا مثلكم، فهم إذا رأوا فرصة انتهزوها وإلَّا انصرفوا لبلادهم، أما أنتم فتساكنون محمدًا وأصحابه، ولا طاقة لكم بحربه وحدكم، فأرى ألا تدخلوا فى هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش، وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا إلى بلادهم، وذلك بأن تأخذوا منهم رهائن عندكم سبعين رجلا من عظمائهم.

وأُعجبوا برأيه، وقالوا: سنفعل ذلك إن طلبوا منا أن نحارب معهم.

ثم ترك يهود بنى قريظة وذهب إلى كفار قريش وقال لهم:

أنتم تعرفون ودِّى لكم، ومحبتى إياكم، وإنى محدثكم حديثًا فاكتْمُوهُ عنِّى.

فقالوا: نفعل.

فقال لهم: إن بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوه مع محمد وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم معه.

فقالوا له: أيرضيك أن نأخذ جمعًا من أشرافهم ونعطيهم لك، وترد جناحنا التى كسرت؟ (أى: ترجع يهود بنى النضير إلى ديارهم) فرضى بذلك منهم، وها هم أولاء سيرسلون إليكم فاحذروهم، ولا تذكروا مما قلت لكم حرفًا.

وتركهم وذهب إلى غطفان فأخبرهم بمثل ما أخبر به قريشًا وبنى قريظة، وأرادوا أن يتأكدوا من كلام نُعَيْم، فأرسل أبو سفيان بن حرب زعيم قريش رجلًا إلى بنى قريظة يدعوهم للحرب معه غدًا.

فقالوا للرجل: لن نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن منكم لكيلا تتركونا وترجعوا إلى بلادكم.

ولما تأكدوا من كلام نُعَيْم اضطربت نفوسهم واهتزت صفوفهم، وشعروا بالخيبة والمصيبة التى حلَّت بهم.

وها هو ذا رسول الله ﷺ يقف مناجيًا ربه:

«اللهم مُنزل الكتاب، سريع الحساب، اهْزِمِ الأحزاب، اللهمَّ اهزِمْهُمْ، وانصرنا عليهم».

ويستجيب الله سبحانه وتعالى لدعاء رسوله ﷺ فيرسل فى المساء رياحًا شديدة، وعاصفة قوية، وأمطارًا غزيرة، وبردًا قارصًا يحيط

بجيش الكفار فتهْدِم خيامهم، وتشتت شملهم، وتدخل الرعب فى قلوبهم، فلا يعرف بعضهم بعضًا، ويعلو صياحهم فى كل مكان، ويصرخون هنا وهناك، فالكل يخشى هجوم المسلمين عليهم فى هذا الليل المظلم، ويعلو صوت أبى سفيان مناديا:

يا معشر القوم، إنكم ما أصبحتم بدار مُقامٍ.. لقد هلك الخيل والإبل والبغال.. ليعرف كل منكم أخاه، وليمسك بيده حذرًا من أن يدخل فيكم عدو.. ارتَحِلوا فإنى مرتحل.

واكتفى المسلمون بحرب السماء بعد أن رأوا الجيش الكبير يفر هربا من الخوف، ولم تنفعه قوته ولا كثرته ولا خيله ولا سلاحه.

ويفرحُ المسلمون بنصر الله، وصدق الله وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.

غزوة بنِى قُرَيْظَة

بعد أن هزم الله الأحزاب، وانزاحوا عن المدينة، ورجعوا إلى مكة مهزومين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه بألَّا يصلي أحد منهم العصر إلا في (بنى قريظة) وهم القوم الذين خانوا العهد مع رسول الله ﷺ.

وصار الرسول وأصحابه متجهين إليهم ليعاقبوهم على خيانتهم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل لم يتخلف منهم أحد.

وبلغ يهود بنى قريظة خبر قدوم الرسول وأصحابه فتحصنوا بحصونهم وحاصرهم جيش المسلمين خمسة وعشرين يومًا.

ولما طال الحصار عليهم، وأحسُّوا بالضغط الشديد، استسلموا لرسول الله ﷺ ولم يجدوا مفرًّا من التسليم.

ثم نزلوا على حكم سيد الأوس سعد بن معاذ -رضى الله عنه- فحكم بقتل الرجال وأسر النساء والأولاد.

وسُرَّ الرسول ﷺ لهذا الحكم العادل من سعد بن معاذ وقال له: «لقد حكَمْتَ فيهم بُحكم الله يا سعد».

وحُفِرت لهم خنادق، ثم جيء بهم مُكَتَّفين بالحبال، وضُربت أعناقهم فقتلوا، ورموهم في الخنادق.

وكان عددهم ستمائة يهودى، وكان هذا جزاء الخائنين الذين خانوا المسلمين وهم في أشد أوقات الضيق والمحنة، وكذلك جزاء الظالمين.

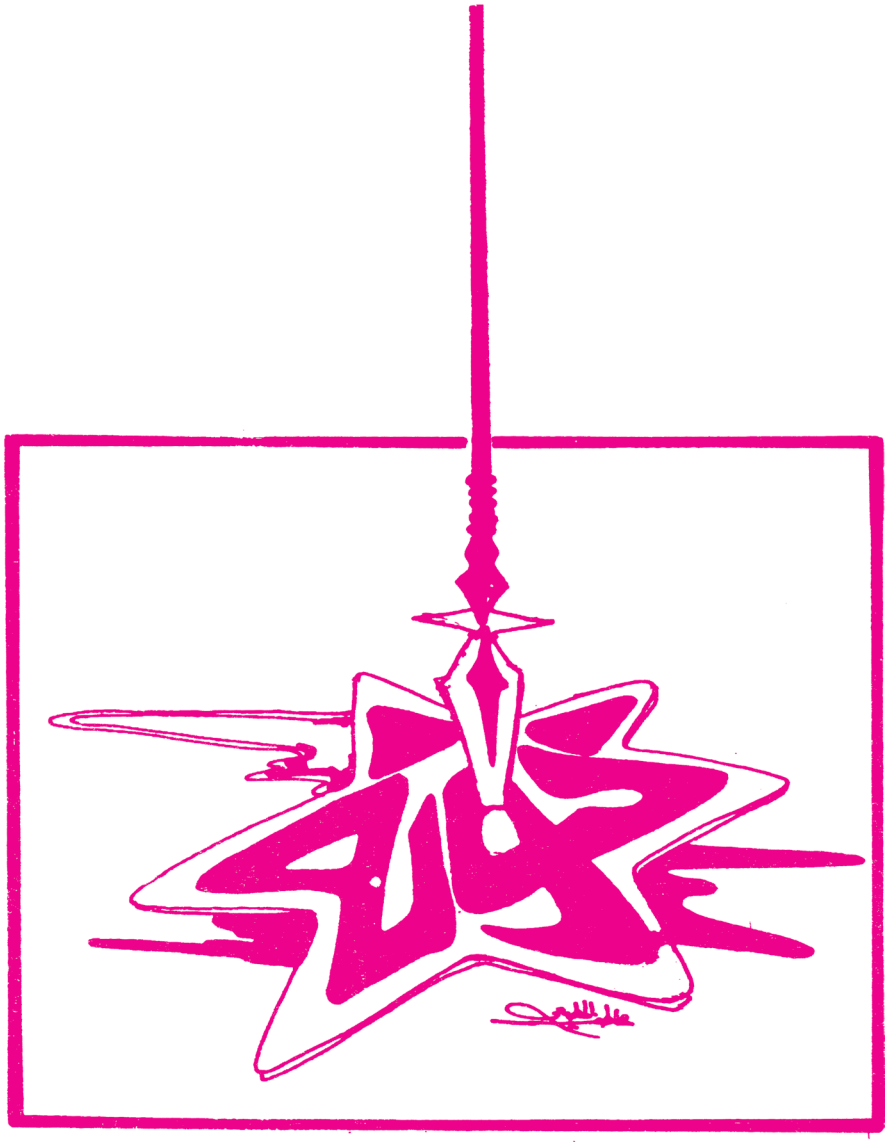

غزوة بَنِى المُصْطَلق

بلغ الرسول ﷺ أن الحارث بن ضرار (عظيم بنى المصطلق وسيدهم) يُعدُّ العدة، ويجمع الرجال من القبائل لقتال محمد وأصحابه، وهو الآن يستعد للزحف بجيش كبير إلى المدينة. واستقر رأي الرسول والصحابة على أن يبعثوا أحد الرجال ليستطلع الخبر.

واختار الرسول ﷺ الصحابى الجليل بُرَيْدَة الأسْلَمِىّ، وتجهز بُرَيْدَةُ للسفر، وشد الرحال إلى بنى المصطلق، ودخل ديارهم، وتأكد من أن الحارث يتجهز فعلًا لحرب المسلمين.

ورجع بريدة إلى رسول الله ﷺ بعد أن نجح في مهمته، وأبلغ الرسول بما رآه من استعداد الحارث لغزو المدينة وقتال المسلمين.

ولما تأكد الرسول ﷺ من ذلك، نهض هو وأصحابه لقتال الحارث وقومه ليفاجئهم فى ديارهم قبل أن يفاجئوه.

وخرج الرسول -عليه السلام- في جيش يتكون من ألف مقاتل، وأعطى لواء المهاجرين لأبى بكر الصديق، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة.

وانطلق المسلمون من المدينة إلى بنى المصطلق، وذلك في شهر شعبان من السنة الخامسة من الهجرة.

ووصل الرسـول إلى منطقة تسمى: المُرَيْسِيع (مكان به ماء قريب من مكة) بالقرب من ديار بنى المصطلق، وعسكر هو وجنوده فى هذا المكان.

وبدأ الرسول ﷺ ينظم الجيش ويرتبه بعد أن أصبحوا وجهًا لوجه أمام العدو.

وكلَّفَ الرسول ﷺ عمر بن الخطاب أن يعرض عليهم الإسلام.. فنادى عمر بأعلى صوته وقال:

يا قوم قولوا: لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، ورفض بنو المصطلق أن يقولوها، فأمر الرسول ﷺ بأن يرموهم بالنبال، ثم حمل المسلمون على المشركين، وحاصروهم فى مكان، وهاجموهم حتى هزموهم.

ولم تستمر المعركة طويلًا، وبلغ عدد القتلى عشرة والأسرى سبعمائة أسير فيهم النساء والأولاد، وغنموا كثيرًا من الخيل والسلاح والشياه.

وكان من بين الأسرى (بُرَيْدَه) بنت الحارس زعيم بنى المصطلق، فأعتقها رسول الله ﷺ، ثم تزوجها إكرامًا لها، فهى ابنة سيد القوم وزعيمهم، ثم سماها الرسول (جُوَيْرِيَة).

ولما علم المسلمون بزواج النبى ﷺ من جويرية، أعتقوا جميع الأسرى من نساء القبيلة وقالوا:

لا يجوز أن نُبْقِى أصهار رسول الله أسرى فى أيدينا.

وعقب هذه المعاملة الطيبة من جانب الرسول وأصحابه أسلم جميع الأسرى وحسن إسلامهم.

صُلْحُ الحُدَيْبِيَة

رأى الرسول ﷺ فى منامه أنه هو وأصحابه يدخلون مكة، ويطوفون حول الكعبة.

وخرج الرسول -عليه السلام- ليبلغ أصحابه بما رآه فى منامه، وأخبرهم بأنه يريد أداء العمرة معهم.

وفرح المسلمون واستبشروا بهذه الرؤيا، فقد كانوا يتشوقون لزيارة المسجد الحرام الذي يُعظِّمونه.

وخرج الرسول وأصحابه من المدينة المنورة في أول ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة، وكان عددهم ألفًا وخمسمائة من المهاجرين والأنصار، ولم يحملوا من السلاح إلا السيوف فقط، لأنهم لا يريدون هذه المرة حربًا أو قتالًا، وإنما يريدون أداء العمرة وزيارة المسجد الحرام.

واهتزَّت أرجاء مكة كلها حينما علمت بخروج الرسول وأصحابه لأداء العمرة فقد ظنوا أنها خدعة دبرها محمد ليغزوَ بها مكة.

واجتمعت قريش لتفكر فى الأمر، فجهزت جيشًا بقيادة خالد ابن الوليد.

وأراد الرسول ﷺ أن يتعرف على أخبار قريش فبعث رجلًا ليستطلع الأخبار، فوجد أن المشركين قد جهزوا جيشًا كبيرًا، ليفاجئوا به المسلمين فى الطريق المؤدى إلى مكة، وأخبر الرسولَ بذلك.

ولما علم الرسولُ ﷺ بهذا الأمر، غيَّر الطريق الذي يعسكرُ كفارُ مكةَ فيه، وسار فى طريق آخر، إلى أن وصل إلى الحُدَيْبِيَة وتوقفت (القصواء) ناقة الرسول، وحاول بعض الصحابة أن يدفعوها ويزجروها، ولكنها لم تستجبْ، ولم تقم، فتعجب الصحابة، وسألوا رسول الله عن ذلك، فقال لهم:

«حبسها حابسُ الفيل»..

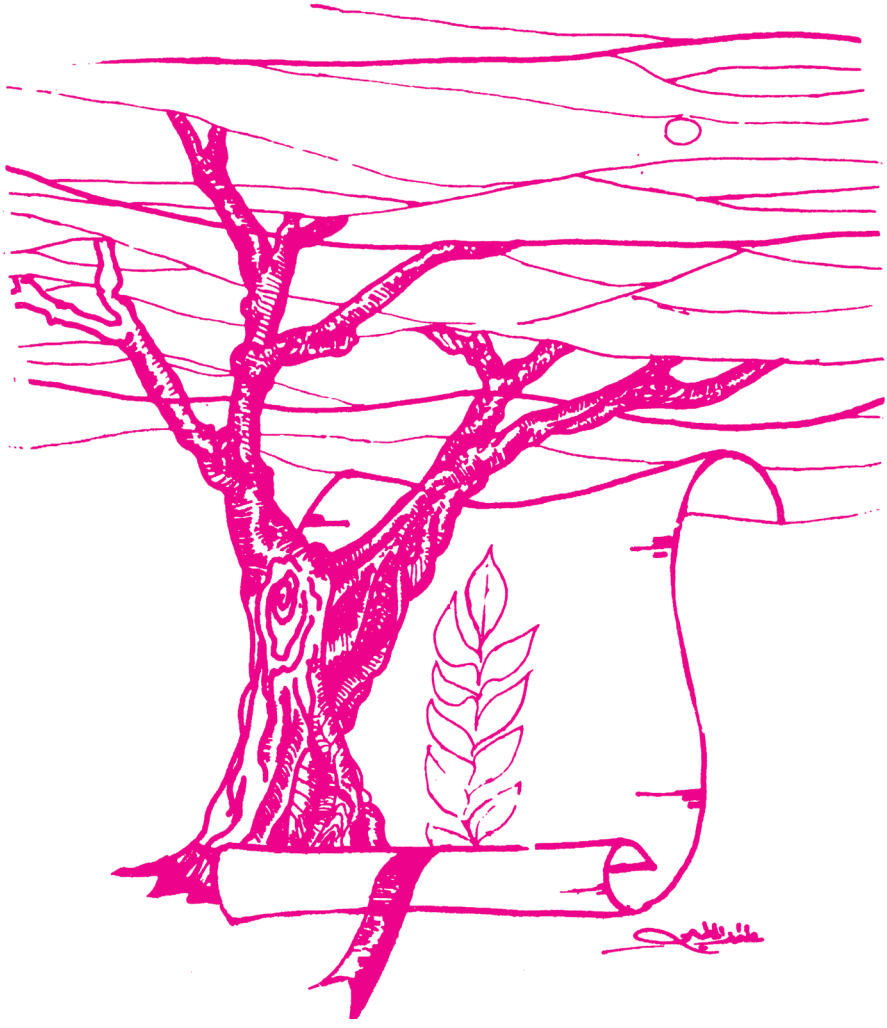

أى أن الله لا يريد للمسلمين أن يؤدوا العمرة فى هذا العام، ومن أجل ذلك لم تواصل الناقة المسير إلى الكعبة.

ولما علم خالد بن الوليد بالحيلة التى قام بها المسلمون سارَ حتى وصل إلى معسكرهم، وأخذ يراقبهم عن بُعد، واندهش خالد بما رآه، فقد صلى الرسول -عليه السلام- بالمسلمين صلاة الخوف.. صفٌّ يُصلِّى معه.. وصفٌّ آخر يحرس.. فتحركت نفسه ووجدانه، وأدرك أن محمدًا وأصحابه قوم مؤيَّدون من عند الله، وأنهم لا يضمرون شرًّا، فأعمالهم هذه تدل على أنهم خرجوا فعلًا لأداء العمرة، وزيارة المسجد الحرام.

ورجع خالد بن الوليد إلى قريش، وأخبرهم بأن محمدًا وأصحابه صادقون فى أنهم يريدون العمرة وزيارة المسجد الحرام.

وتشاورت قريش، واستقر رأيها على أن تتفاوض مع رسول الله ﷺ.

فقال عُروةُ بنُ مسعود:

دعونى أذهب إلى محمد وأصحابه فأحادثهم لعلِّى أقنعهم بالعودة إلى المدينة.

فأذنوا له، وذهب عروة إلى معسكر المسلمين، واجتمع مع الرسول وأصحابه يحاول إقناعهم بالعودة، لكنهم رفضوا.

ورجع عروة بن مسعود إلى مكة وأخبرهم برفض الرسول وأصحابه لهذا الطلب.

ثم بعث الرسول ﷺ إليهم عثمان بن عفان مع عَشَرةٍ من أصحابه.

وتوجه عثمان بن عفان إلى مكة والتقى بزعماء قريش وقال لهم:

إننا ما جِئْنَا لحرب ولا قتال، وإننا جئنا معتمرين.

واحتبسوا عثمان عندهم فترة، وشاع بين المسلمين أنه قد قُتل، فتجهز رسول الله ﷺ لقتالهم، ودعا المسلمين إلى البيعة: (بيعة الرضوان) تحت الشجرة أن يعاهدوا الله والرسول أن يقدموا أرواحهم، ويستقبلوا الموت وهم راضون.

وفى أثناء ذلك يظهر عثمان عائدًا إليهم سليمًا لم يمسسه ضرر.

وفرح الرسول وأصحابه بعودة عثمان، فهو لا يريد الحرب لأن ظروف المسلمين لا تسمح الآن بذلك، فلا يوجد معهم ما يكفيهم من السلاح والعدة.

وبعثت قريش مع سفيرها سهيل بن عمرو شروطًا للصلح مع رسول الله ﷺ وهى:

1 – وقف الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات.

2 – أن يَرُد المسلمون إلى قريش مَنْ جاءهم من قريش مهاجرًا بإسلامه، ومن جاء إلى قريش من المسلمين لا يردونه.

3 – أن يرجع النبى وأصحابه من غير عُمْرة هذه السنة ثم يدخل مكة العام القادم بعد أن تخرج قريش منها فيقيم فيها ثلاثة أيام بحيث لا يكون مع أصحابه من السلاح سوى القوس والسيف.

4 – من أراد أن يدخل فى عهد النبى دخل فيه، ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه.

فوافق الرسول على هذه الشروط، ووقَّع الطرفان وثيقة الصلح، ومن أجل هذا سُميت هذه الواقعة بصلح الحديبية.

واعتبر الرسول ﷺ أن هذه المفاوضات التى تمت إنما هى نصر كبير للمسلمين، لأن قريشًا علمت أن المسلمين أصبحوا الآن قوة لا يُستهان بها.

وحلَقَ الرسول ﷺ رأسه، وأمر المسلمين بحلق رءوسهم، ونَحْر[1] الإبل، ثم رجعوا إلى المدينة المنورة آمنين، وكفى الله المؤمنين القتال.

(1) النَّحْر: بمعنى الذبح، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾.

غزوة خَيْبَر[1]

كان موقف يهود خيبر من رسول الله ﷺ موقفًا معاديًا؛ فقد بذلوا جهدهم لجمع الأحزاب فى حلف لمحاربة المسلمين فى غزوة (الخندق) فرأى رسول الله ﷺ أن يعاقبهم على هذه الخيانة.

ومن أجل هذا أمر أصحابه بالتوجه إلى خيبر وذلك بعد مُضىِّ شهر واحد من عودته من صلح الحديبية.

وبدأ الرسول خطته بأن أوهم غطفان أن خروجه سيوجه ضدها.

وعلمت غطفان بذلك ففرَّت هاربة، ورجعت إلى ديارها، ونجحت خطة الرسول ﷺ.

وانتهز الرسول هذه الفرصة، واتجه هو وأصحابه إلى آخر معقل لليهود، وكان عددهم ألفًا وخمسمائة مقاتل.

وكانت خيبر محصنة تحصينًا قويًّا، فيها ثمانية حصون منفصل بعضها عن بعض.

ووصل جيش المسلمين إلى خيبر عند هبوط المساء، وعندما تَنفَّس الصباح لمح بعض اليهود جيش المسلمين يقف مستعدًّا للحرب، فأحذوا يرمونهم بالنبال.

وتتابع خروج اليهود من حصونهم للقاء المسلمين، ودارت المعركة بين الطرفين، واستمر التراشق بينهم ست ليال.

(1) خيبر: قُرى يهودية ذات حصون قوية.

وفى الليلة السابعة وجد عمر بن الخطاب يهوديًّا خارج الحصون وأتى به الرسول ﷺ، وقد أنهكه التعب فقال اليهودىُّ:

إن أَمَّنْتُمُونِى على نفسى أَدُلُّكم على أمر فيه نجاحكم، فقالوا: قد أمنَّاك فما هو؟

فقال الرجل: إن أهل هذا الحصن قد أدركهم اليأس، وسيخرجون لقتالكم غدًا، فإذا فُتح عليكم هذا الحصن غدًا فسأدلكم على بيت فيه مَنْجنيقٌ[1] ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون.

(1) المَنْجَنيق: آلة قديمة من آلات الحصار، كانت تُرْمَى بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها.

فقال الرسول ﷺ:

«سأعطى الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويُحِبانه».

فتمنى كلُّ واحد من الأنصار والمهاجرين أن يكون هو.

ولما جاء الغد سأل الرسول ﷺ عن علىٍّ بن أبى طالب؟

فقيل له إنه يعانى من مرضٍ في عينيه، فبعث إليه من يأتيه به. ولما جاءَ تَفَل فى عينيه فشفاهما الله كأن لم يكن بهما شيء، ثم أعطاه الراية للقتال.

وأحاط المسلمون بالحصون، وبدأ القتال بالمبارزة، وحمل المسلمون عليهم حملةً صادقةً، فسقطت حصونهم واحدًا بعد الآخر، ولما لم يجد اليهود مفرًّا من الهزيمة طالبوا بالصلح على أن يخرجوا آمنين ويتركوا خيبر وأراضيها.

ووافق الرسول ﷺ.

وتم الصلح، واستولى المسلمون على خيبر، وغنموا منها العديد من السلاح والمتاع والأغنام.

وقد استُشهد من المسلمين فى هذه المعركة خمسة عشر شهيدًا وقُتل من اليهود ثلاثةٌ وتسعون.

فتح مكة

نقضت قريش العهد الذى كان بينها وبين رسول الله ﷺ يوم (الحديبية) وذلك أنها تعاونت مع قبيلة بكر الموالية لها وتحرشت بقبيلة خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ.

وكان العهد المكتوب بينهم أنه: مَنْ أحبَّ أن يدخل فى حلف محمد فهو آمن، ومَنْ أحَبَّ أن يدخل فى حلف قريش فهو آمِن، ودخلت قبيلة بكر فى حلف قريش، ودخلت قبيلة خزاعة فى حلف محمد ﷺ.

ولما كانت قبيلة خزاعة قد تعرضت لعدوان قبيلة بكر الموالية لقريش وعلم الرسول بذلك بعد أن أخبره عمر بن سالم الخزاعى رئيس قبيلة خزاعة الموالية له، بما وقع عليهم من عدوان قبيلة بكر عليهم بتحريض من قريش.

وعزمَ الرسولُ ﷺ على فتح مكة بعد أن غدرت به قريش ونقضت العهد، واعتدوا على أصحابه، ووصى أصحابه بكتمان الأمر وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتها[1] فى بلادها».

وحدث شيء لم يكن متوقعًا وهو أن الصحابىَّ حاطب بن أبى بَلْتعة بعث امرأة إلى قريش لتخبرهم أن محمدًا يتهيأ لقتالهم وأمرها أن تخفى الخطاب فى ضفائر شعرها حتى لا يراها أحد.

(1) من المُباغتة، وهى المُفاجأة.

وعلم رسول الله بما دبَّره حاطب، وذلك بوحى من الله عز وجل فكلف فى الحال علىَّ بن أبى طالب، والزُّبَير بن العوام باللحاق بالمرأة، وتم القبض عليها فى الطريق قبل أن تبلغ مكة، ثم فتشاها فعثرا معها على رسالة مكتوب فيها:

(إن النبى صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله لو صار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه مُنْجِزٌ له ما وعده) .

ودعا الرسول ﷺ حاطبًا فقال له: يا حاطب، ما حملك على هذا؟

فقال حاطب: يا رسول الله إنى مؤمن بالله وبك، وما تغيرتُ ولا تبدَّلتُ، ولكنى خفت على ولدى وأهلى فهم يعيشون بينهم.

فتضايق عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله! دعنى أقتل هذا المنافق؟ ولكن الرسول ﷺ أجابه قائلًا:

«وما يدريك يا عمر، لعلَّ الله اطَّلعَ على أصحاب بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم».

وكان حاطب بن أبى بَلْتعة ممن حارب مع رسول الله ﷺ فى غزوة بدر.

وتحرَّك جيش المسلمين يقودهم رسول الله ﷺ إلى مكة، وانضم إليهم فى الطريق بعض القبائل التى أسلمت حتى وصل عددهم عشرة آلاف مقاتل.

وانتشرت فى مكة أخبار المسلمين القادمين إلى بلادهم،

فخرج أبو سفيان يَسْتَطْلع الأخبار:

ولما وصل المسلمون إلى مكان يسمى بالظهران (وادٍ قريب من مكة) بعث الرسول ﷺ العباس بن عبد المطلب يَسْتَطْلِع له الأخبار.

فقال العباس: هذا رسول الله فى المسلمين أتاكم فى عشرة آلاف رجل.

فقال أبو سفيان: فما تأمرنى به؟

فقال العباس: تركب معى، فوالله إن ظفر بك ليضربنَّ عُنقك ولم يتردد أبو سفيان، وركب مع العباس، وذهب به إلى رسول الله ﷺ ليأخذ منه الأمان.

ولما دخل العباس وأبو سفيان معسكر المسلمين، عرف عمر بن الخطاب أبا سفيان، فأسرع إلى خيمة الرسول ﷺ يطلب منه أن يقتل أبا سفيان.

فرد العباسُ قائلًا: إنى قد أجَرْته يا رسول الله.

فأمر الرسولُ العباس أن يحمله إلى رحله ويأتيه به غدًا.

وعندما أشرق الصباح ذهب العباس مع أبى سفيان إلى النبى ﷺ فقال الرسول -عليه السلام- مخاطبًا أبا سفيان:

«ويحك يا أبا سفيان، أما آن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟».

فقال: بأبى أنت وأمى ما أحملك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى عنى شيئًا.

فقال الرسول عليه السلام:

«ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أنى رسول الله !».

قال أبو سفيان: أما هذه، فوالله إن فى النفس منها حتى الآن شيئًا..

وبعد حوار طويل دخل أبو سفيان فى الإسلام، فقال العباس:

يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا فقال الرسول ﷺ:

«نعم.. من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن».

ووقف أبو سفيان مبهورًا وهو يشاهد مع العباس جنود الله من المسلمين التى ملأت الوادى، فمرت به القبائل قبيلة قبيلة إلى أن جاء موكب الرسول ﷺ ومعه المهاجرون والأنصار وعليهم الدروع البيض، فقال أبو سفيان: مَنْ هؤلاء؟

فقال العباس: هذا رسول الله بين المهاجرين والأنصار.

فقال أبو سفيان: لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيمًا.

فقال العباس: ياأبا سفيان إنها النبوة.

وفى ختام هذا المشهد انطلق أبو سفيان مسرعًا إلى قريش، ونادى بأعلى صوته:

يا معشر قريش قد جاءكم محمد بما لا قِبَل لكم به، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

وركب الرسول ﷺ ناقته (القصواء) وأمر جيش المسلمين بالتحرك إلى مكة بعد أن نظَّم الجيشَ، فجعل على اليمين خالد بن الوليد الذى أسلم فى تلك السنة، وجعل معه عمرو بن العاص،

وعثمان بن طلحة، وجعل على اليسار الزُّبَيْر بن العوام، وعلى المقدمة أبا عبيدة بن الجراح، وأوصاهم بألا يقاتلوا إلا إذا أُكرهوا على ذلك.

ودخل جيش المسلمين مكة فى صبح يوم الجمعة الموافق عشرين من رمضان من السنة الثامنة من الهجرة.

وتعرض الجناح الأيمن الذى يرأسه خالد بن الوليد لمناوشات خفيفة أدت إلى قتل عشرين رجلًا من الكفار، ورجلين من المسلمين.

وشاء الله أن يتم للمسلمين الاستيلاء على مكة، وتوجه الرسول ﷺ إلى البيت الحرام فطاف به سبعًا والمسلون من خلفه، ثم أمر بتحطيم الأصنام،وجعل يطعنها بقوس كانت فى يده ويقول:

«جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا»،

ثم قال:

«يا معشر قريش، ويا أهل مكة: ما ترون أنِّى فاعل بكم؟»..

فقالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم.

فقال الرسول لهم:

«اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء».

وهكذا عفا الرسول ﷺ عن أهل مكة جميعًا بسماحته العالية وخُلقه العظيم الذى شهد له ربه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

ثم أمر الرسول ﷺ بلالًا أن يؤذن على ظهر الكعبة، ودوَّى صوت (الله أكبر) في أرجاء مكة كلها.

غزوة حُنين

انْزعَجتِ القبائلُ المجاورة لقريش من انتصار المسلمين على قريش فى مكة، فهى أقوى قبائل العرب وتخوَّفوا من أن تكون الضربة القادمة من نصيبهم.

ومن أجل ذلك أعلنت قبيلتا (هوازن) و (ثقيف) عداءهما للرسول ﷺ ودعوته، وبدأتا تعدان العدة للعدوان واستعانتا بالقبائل المجاورة لها فجمعوا خيلهم ورَجِلَهُمْ لمحاربة المسلمين تحت مالك بن عوف، وكان شابًّا قويًّا وذكيًّا، فقد أمر رجاله أن يصطحبوا معهم المواشى والأموال والنساء والأطفال، ويجعلوهم فى (آخرة) الجيش، وكان الهدف من ذلك استماتة الرجال فى الدفاع عن أموالهم، ونسائهم، وأطفالهم.

وبلغ الرسول ﷺ ما تدبره ثقيف وهوازن، فتجهز لقتالهم وغادر هو وأصحابه مكة يوم السبت فى السادس من شوال سنة ثمانٍ من الهجرة، وكان عددهم اثنى عشر ألفًا من المجاهدين:

عشرة آلاف من الذين شهدوا فتح مكة، وألفان ممن أسلموا بعد الفتح من قريش.

وبلغ العدوّ خبر خروج الرسول وأصحابه، فأقاموا كمينًا لهم عند مدخل وادى أوطاس (قرب الطائف) وكان عددهم عشرين ألفًا.

وصار المسلمون إلى الوادى فخورين بقوتهم وانتصاراتهم، ومعجبين بكثرتهم حتى قال بعضهم: لن نُغْلَبَ اليوم من قِلَّةٍ.

وفاجأهم الكمين عند مدخل الوادى، وحمل الكفار على المسلمين حملة رجل واحد، فاهتزت صفوف المسلمين من هذه المفاجأة، وفر البعض منهم.

ولما رأى الرسول ﷺ ذلك نادى فيهم بالثبات وهو راكب على بغلته قائلًا:

أنا النبيُّ لا كذب أنا ابنُ عَبْدِ المُطَّلب

وأمر العباس أن ينادى في الناس، وكان صوته قويًا:

يا معشرَ الأنصار الذين آوَوْا ونصروا، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة.. هلموا هذا رسول الله يناديكم.

وأجاب الأنصارُ والمهاجرون بصوت واحد: لبيك يارسول الله لبيك.

وانتظم الجيش مرة أخرى، واشتد القتالُ، ورجحت فى النهاية كفَّةُ المسلمين، وبدأ الكفار يشعرون بمرارةِ الهزيمة، وأحسوا بخيبة

الأمل وبدءوا يفرون من أرض المعركة، ولكن المسلمين تابعوهم، وأخذوا يقتلون منهم ويأسرون، وبلغ عددُ الأسرى من الكفار فى ذلك اليوم ستة آلاف أسير.

وهكذا حقق الله لهم النصرَ بعد الهزيمة.

ثم تابع الرسول ﷺ مسيرته إلى (الطائف) للقضاء على الفارين من حُنين، فوجدهم قد تحصنوا فى الطائف بأسوار قوية، وحملوا معهم ما يكفيهم سنة كاملة، فحاصرهم الرسولُ أيامًا ثم تركهم وارتحل إلى الجعرانة (مكان قريب من مكة).

وجاء إلى رسول الله ﷺ وفد من هوازن مسلمين فخيرهم بين نسائهم وأولادهم، وبين أموالهم، فاختاروا النساءَ والأولاد، وكان عددُهم ثمانية آلاف.

ثم وفد عليه أيضًا مالكُ بنُ عوفٍ سيدُ هوازن وقائدُهم فرد الرسولُ عليه أهله وماله، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامُه.

غزوة تبوك

وصلت الأخبارُ إلى رسول الله ﷺ تفيد بأن بلاد الروم قد تجمعت وتجهَّزْت لغزو بلاد العرب.

واستقرَّ عزم الرسول ﷺ على صد هذا الغزو وحماية الجزيرة العربية وصيانة حدودها من اعتداء المعتدين وبدأ يحث على التبرع لهذه الغزوة، واستجاب المسلمون لدعوة الرسول إلى تجهيز الجيش وتوفير المؤن والسلاح، فتبرع عثمان بن عفان بعشرة آلاف دينار، وتسعمائة بعير، ومائة فرس.

كما تنازل أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- عن كل ماله لصالح تلك الغزوة فقال له رسول الله ﷺ:

«هلْ أبْقَيْتَ لأهلِكَ شيئًا؟».

فقال أبو بكر: أبْقَيْتُ لهمُ اللهَ ورسولَهُ !.

وتحرَّك جيش المسلمين إلى تبوك بقيادة الرسول ﷺ، وكان عددهم ثلاثين ألفًا تقريبًا، وأعطى الرسول اللواء لأبى بكر الصديق -رضى الله عنه-.

واجتاز الجيش الصحراء متجهًا إلى تبوك، وكان الحر شديدًا للغاية فتحملوا مشقة الطريق حتى وصلوا إلى تبوك.

وأمر الرسول ﷺ أن يعسكر المسلمون فى هذا المكان، الذى قضوا فيه نحوًا من عشرين يومًا ولم يظهر أثر لقوات الروم خلال تلك المدة.

إلا أن بعض القبائل المسيحية والتى يرأسها (يوحنا بن رؤبة) كانت قريبة من حدود الجزيرة العربية فبعث إليها الرسول ﷺ يُخَيرها بين الحرب أو الطاعة. فأبدى يوحنا وأهل جرباء، وأهل أزرح الرغبة فى الصلح على أن يدفعوا الجزية.

ولم يبق أمام النبى ﷺ إلا أمير دومة الجندل الذى كان يتوقع منه العداء فبعث الرسول جيشًا بقيادة خالد بن الوليد.

وأحاط جيش المسلمين بدومة الجندل، وانْقَضُّوا على أهلها فجأةً، ولم يقاومهم أحد.

وفتحت لهم المدينةُ أبوابها..

وفى النهاية عرض الرسول ﷺ الإسلام على أمير دومة الجندل فأسلم وعيَّنه أميرًا على قومه.

وكانت غزوة تبوك هى آخر غزوة خرج فيها رسول الله ﷺ محاربًا.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
تمهيد	3
غزوة بدر الكبرى	4
غزوة أحد	11
غزوة بَنِى النَّضِير	15
غزوة الأحزاب «الخندق»	18
غزوةَ بنِى قُرَيْظَة	25
غزوة بَنِى المُصْطَلق	27
صُلْحُ الحُدَيْبِيَة	30
غزوة خَيْبر	35
فتح مكة	38
غزوة حُنين	43
غزوة تبوك	46